اضطر الى العمل

بعد زيارتها لنا حين كان ياسر عرفات محاصرا في طرابلس عادت الى بلدها ولم تزرنا بعدها.. كان الإجتياح الإسرائيلي للبنان قبل عام يملأ قلب عفيف غضبا ومرارة فكانت مقالاته اللاهبة اليومية التي ينقلها له أحد الأصدقاء عونا لياسر عرفات وللمقاومة الفلسطينية أن تصمد في بيروت شهرين ونصف ببطولة منقطعة النظير، والتي ظهرت فيما بعد في كتاب "وقائع الحرب اللبنانية". كان الثمن باهظا بالنسبة للمقاومة وللشعب اللبناني، وجاءت بعدها مذبحة صبرا وشاتيلا لتكمل الصورة الحزينة للشعب الفلسطيني الذي لجأ الى لبنان بعد طرده من أرض أجداده..

انقطعت أخبار فولكمار أيضا فلا ندري ما فعل الله به حتى كان يوم تلفن الى سلام وهي في لندن وقال بأنه ينوي زيارتها.. وزارها بالفعل وأخبرها أن أمه قطعت عنه المعونة فاضطر الى العمل، وما استطاع النجاح في الإمتحان الأخير، لأنه يسأل فيه عن كل دراسته السابقة، والمنهج يتغير من عام لعام وتضاف له كتب جديدة.. ولا وقت لديه لدراستها، يضاف الى هذا أنه لايسمح للطالب أن يرسب في أي موضوع..

كان فولكمار يعيش في برلين وأمه في شتوتغرت، وكان التواصل بينهما منقطعا فترة طويلة حتى سمع بأن أمه مصابة بالسرطان وفقدت عملها، فعاد الى زيارتها ومراسلتها، وأخبر سلام أنها لا تفتأ تقول له "أنت مثل والدك، تتبع قضية خاسرة وتدافع عنها، ولهذا لن يكتب لك النجاح أبدا!"..

زار سلام مرة أخرى وقال لها "أريد أن أزور والدي، ولكنني لا أملك المال، فعملي لا يكاد يفي بحاجاتي الضرورية من سكن وطعام.."

هذا ما أخبرتنا به سلام حين زارتنا في المرة التي سبقت وفاة والدها.. كانت قد حصلت على الدكتوراة وجاءت لتمضي عيد رأس السنة معنا.. في ذلك الشهر بدأ يكتب مذكراته مستجيبا لإلحاح أصدقائه عليه ولكن لم يمهله الله ليستكمل تلك المذكرات.. لقد وافته المنية إثر سكتة دماغية في 28 كانون ثاني من عام 94 وكانت وفاته في 15 شعبان، وأربعينه في ليلة القدر من رمضان..

كانت الصدمة قاسية علي.. لقد خطف خطفا من أيدينا بين ليلة وضحاها..

عندما دخلت الغرفة وهو مسجى معدّ لرحلة السماء قال لي الشيخ الـــذي ســـمح لـــي بوداعه الوداع الأخير "اغفري له ذنوبه وادع له!" قلت منفعلة "أنا أغفر له! ليغفـــر هـــو ذنوبنا في حقه.. والله كان أكرم الرجال وأسخاهم عطاء لأسرته وأمته والإنسانية جمعاء، ولم يطلب لنفسه شيئا أبدا، أبدا.. قرأت له الفاتحة وطلبت منه الغفران للـــذين آذوه فـــي حياته وعطلوا نضاله وأجهضوا آماله في الوحدة الكبرى للأمة العربيـــة دون أن تكـــون تحت مظلة أي من المستعمرين، وحرموه ثمرة كفاحه ولقمة عيشه فمات منفطـــر القلـــب لمصير أمته وذلها واستسلامها!..

ان التاريخ وحده هو الذي ينصف الرجال، وعندما يخفت ضجيج الدجل والنفـــاق، سيأتي من يقيّم هذا الرجل ومواقفه وتراثه التقييم الصحيح، ويضعه في مكانه اللائق بـــه في أفئدة الناس وذاكرة الزمن..

* * *